

عمل الروح القدس فى الكنيسة الاولى بقوة. وكانت الكنيسة آلة طيعة فى يد الروح، فعمل بها عجباً.. وكان من ثمار عمله صفحة الاستشهاد المشرقة، ولشرح هذا نقتبس من كتاب

## "الإستشهاد فى المسيحية"

لمثلث الرحمات المتنيح الأنبا يوانس

أسقف الغربية

## مع الشهداء الأبطال

### دوافع الاستشهاد فى المسيحية

لم تعرف البشرية فى كل تاريخها شهداء كشهداء المسيحية، من حيث حماسهم، وشجاعتهم، وإيمانهم، ووداعتهم، وصبرهم، واحتمالهم، وفرحهم بالاستشهاد. فقد كانوا يعانون الموت فى فرح وهدوء ووداعة عجيبة اذهلت معذبيهم ومضطهديهم وأعداءهم على السواء. فرموهم بالجنون أحياناً وبالجهل والحمافة أحياناً أخرى. وقد سخر بعض أعداء المسيحية من ظاهرة الاستشهاد، وفسروها فى سذاجة وسطحية، على أنها هروب من الحياة، ونوع من الانتحار تحت ظروف قاسية... وقد فند المدافعون المسيحيون المعاصرون للاضطهادات، هذه الافتراءات وردوا عليها.

والحق اننا لا يمكننا فهم الاستشهاد فى المسيحية، وتقدير قدسيته وبطولته، ما لم نفهم دوافعه، التى ملكت على أولئك الشهداء قلوبهم، ومشاعرهم، وأفكارهم بصورة قوية دفعت بهم الى الموت، وكأنه رحلة ممتعة... لقد اقتبل المؤمنون المسيحيون مع إيمانهم المسيحى مبادئ روحية أساسية غيرت حياتهم الشخصية ومفاهيمهم ونظرتهم للحياة كلها... ونستطيع أن نجملها فيما يلى:

### (١) ان هذا العالم وقتى بالقياس الى الحياة الابدية:

ما أكثر الأقوال الالهية التى كانت تشجع فيهم هذا الاحساس... "لأن خفة ضيقتنا الوقتية تنشئ لنا أكثر فأكثر ثقل مجد أبدياً. ونحن غير ناظرين الى الاشياء التى ترى بل الى التى لا ترى. لأن التى ترى وقتية وأما التى لا ترى فأبدية" (٢كو ٤: ١٧)... "أقول هذا أيها الاخوة. الوقت منذ الآن مقصر لكى يكون الذين لهم نساء كأن ليس لهم. والذين يبكون كأنهم لا يبكون. والذين يفرحون كأنهم لا يفرحون. والذين يشترون كأنهم لا يملكون. والذين يستعملون هذا العالم كأنهم لا يستعملونه. لأن هيئة هذا العالم تزول" (١كو ٧: ٢٩، ٣٠)... "العالم يمضى وشهوته. وأما الذى يصنع مشيئة الله فيثبت الى

الابد" (١يو ٢: ١٧).

(٢) وأنهم غرباء فيه:

متذكّرين كلمات الوحي الالهي على فم الرسل القديسين حينما أوصاهم قائلاً "سيروا زمان غربتكم بخوف" (١بط ١: ١٧)... "أيها الأحباء، أطلب اليكم كغرباء ونزلاء أن تمتنعوا عن الشهوات الجسدية التي تحارب النفس" (١بط ٢: ١١). وبعد أن تكلم بولس الرسول عن أبرار العهد القديم قال "في الايمان مات هؤلاء أجمعون وهم لم ينالوا المواعيد بل من بعيد نظروها وصدقوها وحيوها وأقروا بأنهم غرباء ونزلاء على الأرض" (عب ١١: ١٣)... "فأذ نحن واثقون كل حين وعالمون اننا ونحن مستوطنون في الجسد فنحن متغربون عن الرب ... فنثق ونسر بالاولى أن نتغرب عن الجسد ونستوطن عند الرب" (٢كو ٥: ٦، ٨).

(٣) وأن هذا العالم وضع في الشرير والحياة فيه حياة حزن والم وضيق:

"نعلم أننا نحن من الله والعالم كله قد وضع في الشرير" (١يو ٥: ١٩).. "الحق الحق أقول لكم، انكم ستبكون وتنوحون والعالم يفرح. أنتم ستحزنون ولكن حزنكم يتحول الى فرح" (يو ١٦: ٢٠). "اجتهدوا أن تدخلوا من الباب الضيق" (لو ١٣: ٢٤)... "في العالم سيكون لكم ضيق. ولكن ثقوا، أنا قد غلبت العالم" (يو ١٦: ٣٣)... بالمقارنة بالحياة الاخرى التي قيل عنها "وسيمسح الله كل دمعة من عيونهم. والموت لا يكون في ما بعد ولا يكون حزن ولا صراخ ولا وجع في ما بعد" (رو ٢: ٤).

(٤) وقد عرفوا أيضاً أن نهاية ضيقات وأحزان وآلام هذا العالم تؤول الى مجد عظيم في السماء...

"من يحب نفسه يهلكها، ومن يبغض نفسه في هذا العالم يحفظها الى حياة أبدية" (يو ١٢: ٢٥). "الحق الحق أقول لكم ان لم تقع حبة الحنطة في الارض وتمت فهي تبقى وحدها. ولكن ان ماتت تأتي بثمر كثير" (يو ١٢: ٢٤) "ستبكون وتنوحون والعالم يفرح. أنتم ستحزنون ولكن حزنكم يتحول الى فرح. المرأة وهي تلد تحزن لان ساعتها قد جاءت. ولكن متى ولدت الطفل لا تعود تذكر الشدة لسبب الفرح لانه قد ولد انسان في العالم" (رو ٨: ١٧).. "صادقة هي الكلمة أنه ان كنا قد متنا معه فسنعيا أيضاً معه. ان كنا نصبر فسنملك أيضاً معه" (٢تي ٢: ١١، ١٢)... "فانى أحسب ان آلام الزمان الحاضر، لا تقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا" (رو ٨: ١٨)... وقد أوضح الرائي في رؤياه ذلك بقوله "بعد هذا نظرت واذا جمع كثير لم يستطع أحد أن يعده من كل الأمم والقبائل والشعوب والألسنة واقفون أمام العرش وأمام الخروف متسربلين بثياب بيض وفي أيديهم سعف نخل.. وأجاب واحد من الشيوخ قائلاً لي هؤلاء المتسربلون بالثياب البيض من هم ومن أين أتوا... فقال لي هؤلاء هم الذين أتوا من الضيقة العظيمة، وقد غسلوا ثيابهم وبيضوا ثيابهم في دم الخروف. من أجل ذلك هم أمام عرش الله

ويخدمونه نهراً وولياً فى هيكله. والجالس على العرش يحل فوقهم، لن يجوعوا بعد ولن يعطشوا بعد... لأن الخروف الذى فى وسط العرش يرعاهم ويقتادهم الى ينابيع ماء حية، ويمسح الله كل دمة من عيونهم" (رؤ ٧: ٩-١٧)... ولم يستطع بولس أن يصف مجد السماويات فاكتفى بالقول "مالم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على بال انسان" (١كو ٢: ٩).

"أما عن المجد الذى سيكون فيه أولاد الله فى السماء فيصفه يوحنا بقوله.. أيها الأحباء نحن أولاد الله، ولم يظهر بعد ماذا سنكون. ولكن نعلم أنه اذا اظهر نكون مثله لأننا سنراه كما هو" (١يو ٣: ٢).

من أجل كل هذا...

(أ) زهدوا فى كل شئ مادى عالمى...

مستفيدين من الحكمة التى وصل اليها أيوب البار "عريانا خرجت من بطن أمى وعريانا أعود الى هناك" (أى ١: ٢١). وهو نفس المعنى الذى أكده القديس بولس حينما قال "لأننا لم ندخل العالم بشئ وواضح أننا لانقدر أن نخرج منه بشئ. فان كان لنا قوت وكسوة فلنكتف بهما" (١تى ٦: ٧، ٨).. وقد اعتبر بولس أن الغنى هو الغنى الروحى، وأن المؤمن باقتنائه المسيح فى قلبه قد اقتنى كل شئ "كفقراء ونحن نغنى كثيرين. كأن لا شئ لنا ونحن نملك كل شئ" (٢كو ٦: ١٠)...

(ب) واشتهوا الانطلاق من الجسد لكى يكونوا مع المسيح...

وقد غذى هذا الشعور فيهم كلمات الرب يسوع "حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضا" (يو ١٤: ٢، ٣)... "من يحب نفسه يهلكها. ومن يبغض نفسه فى هذا العالم يحفظها الى حياة أبدية... وحيث أكون أنا، هناك أيضا يكون خادمى" (يو ١٢: ٢٥، ٢٦)... من أجل هذا أشتهى القديسون هذا اللقاء مع الحبيب، فهتف سمعان الشيخ "الآن تطلق عبدك ياسيد حسب قولك بسلام" (لو ٢: ٢٩)... وهتف بولس "لأن لى الحياة هى المسيح والموت هو ربح... لى أشتهاء أن أنطلق واكون مع المسيح ذاك أفضل جداً" (فى ١: ٢٣، ٢١)... ويوحنا الرانى بعد أن رأى مالا يرى من أمجاد العالم العتيد ختم رؤياه بقوله "أمين. تعال أيها الرب يسوع" (رؤ ٢٢: ٢٠)...

(ج) وقد فعلوا كل ذلك عن محبة عجيبة...

مفضلين الرب عن سواه واما عداه، اذ كانت كلمات الرب أمامهم "من أحب أبا أو أما أكثر منى فلا يستحقنى. ومن أحب أبنا أو ابنة أكثر منى فلا يستحقنى" (مت ١٠: ٣٧)... "لا تحبوا العالم، ولا الأشياء التى فى العالم. إن أحب أحد العالم فليست فيه محبة الآب" (١يو ٢: ١٥)... "أما تعلمون أن محبة العالم عداوة لله فمن أراد أن يكون محباً للعالم، فقد صار عدواً لله" (يع ٤: ٤)...

كانت حياتهم فى الجسد حياة فى العالم، وليست للعالم... عاشوا فيه دون أن يكون قلبهم فيه... استخدموا العالم كبحر تعبر فيه سفينة حياتهم، دون أن تمتلئ من مياهه، فتغرق وتغوص الى قاعه "والذين يستعملون هذا العالم كأنهم لا يستعملونه. لأن هيئة هذا العالم تزول" (١كو٧: ٣١)... لقد عبر بولس عن حبه بهذه الكلمات "من سيفصلنا عن محبة المسيح... فانى متيقن انه لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات ولا أمور حاضرة ولا مستقبلية. ولا علو ولا عمق ولا خليقة أخرى تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التى فى المسيح يسوع ربنا" (رو٨: ٣٥-٣٩)... وحينما قال "لست أحتسب لشيء ولا نفسى ثمينة عندي" (أع٢: ٢٤)... حقق ذلك عمليا لمؤمنى قيصرية حينما رجوه ألا يصعد الى اورشليم تفاديا لليهود الذين كانوا يطلبونه للفتك به "ماذا تفعلون تكونون وتكسرون قلبى، لأنى مستعد ليس أن أربط فقط بل أن أموت أيضا فى اورشليم لأجل اسم الرب يسوع" (أع٢١: ١٠-١٣)...

والآن- بعد أن عرضنا لهذه الدوافع المقدسة، نستطيع أن ندرك، ولو قليلا، ونعلل سر تهافت الشهداء على الموت، واقبالهم على التعذيب، بروح اللامبالاة، لكن فى فرح وسكينة من أجل الرجاء العتيد.

ونستطيع أن نميز ثلاث فئات من الشهداء من حيث دافع استشهادهم:

أ- شهداء من أجل ثباتهم على الايمان المسيحى عامة. وهؤلاء تؤلف أعدادهم الغالبية العظمى ممن استشهدوا على اسم المسيح، وهو موضوع كتابنا هذا بأكمله.

ب- شهداء استشهدوا من أجل الحفاظ على عفتهم وطهارتهم.

ج- شهداء ماتوا تمسكا بعتيدتهم... والآن نعرض للنوعين الأخيرين.

### شهداء من أجل العفة

ميزت المسيحيين فى أجيال المسيحية الاولى، ظاهرتان واضحتان كل الوضوح، هما شهوة الاستشهاد، ومحبة العفة والبتولية... ونحن نرى فى سيطرة هاتين الظاهرتين على المؤمنين أمرا طبيعيا، يتمشى مع الروحانية العميقة التى عاشوها، والسمو العجيب الذى حققوه باحتقار الجسد وكل ما هو مادي. فحيث الاستشهاد لايد وأن توجد الطهارة. فليس استشهاد مع الانحلال الروحي، والانحطاط الخلقى، وسيطرة شهوة الجسد على الانسان وعبوديته لها.

+ الموت أخف من الدنس:

● وتاريخ الشهداء حافل بأمثلة رائعة لأبطال الطهارة والعفة، الذين فضلوا أن يقابلوا الموت عن أن يدينوا أجسادهم. فالوثنيون وحكامهم تملكت عليهم شهوة دنسة بصورة مزرية مخجلة. وكانوا يندهبون لظاهرة المسيحيين والمسيحيات على وجه

الخصوص، اللانى "لم يستطعن مجرد الاصغاء الى تهديد الحكام الوثنيين بهتك أعراضهن، فتحملن كل أنواع التعذيب والتنكيل والقصاص المميت"<sup>(١)</sup>

يقول يوسابيوس المؤرخ الذى عاش وسط الاضطهادات "لم يكن النساء أقل من الرجال بسالة فى الدفاع عن تعاليم الكلمة الالهية، اذ اشتركن فى النضال مع الرجال. وثلن معهم نصيبا متساويا من الاكاليل من أجل الفضيلة وعندما كانوا يجروهن لأغراض دنسة، كن يفضلن تسليم حياتهن للموت عن تسليم أجسادهن للنجاسة"<sup>(٢)</sup>.

كان واضحا اذن أمام الحكام الوثنيين، ان الوقوع فى الدنس أشر من الموت بالنسبة للمسيحيين... من أجل هذا فرضوه عقابا خاصة بالنسبة للعذارى والسيدات وبعض الشباب.

### شباب عفيف:

فى الاضطهاد الذى أثاره الامبراطور ديسيوس (٢٤٩ - ٢٥١)، اذ فشل أحد الولاة الوثنيين فى أن يثنى شاباً قبطيا عن ايمانه، سلمه لاحدى الباغيات (الساقطة) لتسقطه فى الخطية. واذ لم تجد تلك المرأة وسيلة لتحقيق غرضها، ربطوا الشاب- جسمه ويديه ورجليه بسرير- ثم أخذت المرأة تقوم بوسائلها السمجة لاثارته.. واذ لم يجد الشاب وسيلة للهرب من هذا الشر، وخاف على طهارته من أن تتدنس، قضم على لسانه بأسنانه، وبصقه ومعه سيل من الدماء فى وجهها... واذ تملكها الرعب من هول ما حدث، هربت، أما هو فحفظ طهارته...

### بوتامينا العذراء العفيفة:

● وفى الاضطهاد الذى أثاره سبتمىوس ساويرس، احتملت العذراء المصرية بوتامينا أشد أنواع العذاب. ويقول يوسابيوس المؤرخ عنها "لا تزال مشهورة بين شعب البلاد لسبب الآلام العديدة التى تحملتها فى سبيل الاحتفاظ بعفتها وعذراويتها. لانها كانت فى دور النضوج العقلى والجسمى. واذ تحملت كثيرا من أجل الايمان بالمسيح، وعانت صنوفا مختلفة من التعذيب الذى لا يوصف، أحرقت بالنار أخيرا مع أمها مارسيلا. ويقال ان الوالى المسمى أكىلا، بعد أن عذب كل جسمها تعذيبا قاسيا هدها أخيرا بتسليمها الى المصارعين للاساءة الى جسدها. واذ سئلت عما استقر عليه رأيها، فكرت قليلا وقدمت اجابة اعتبرت خارجة عن حدود اللياقة، وللحال صدر عليها الحكم وساقها الى الموت باسيليدس أحد ضباط الجيش. ولما حاول الشعب اساءتها واهانتها بألفاظ بذينة أبعد (باسيليدس) أولئك المسيئين، وأظهر نحوها كثيرا من الرقة والعطف" .. كانت الطريقة التى تقرر أعدامها بها، أن يصب القار المغلى على أعضائها.

(١) يوسابيوس ٨: ١٦

(٢) يوسابيوس ٨: ١٤

ولكنها صاحت قائلة للوالى " استحلّفك برأس الامبراطور الذى تخشاه، ألا تجعلهم يجردوننى من ثيابى، بل يدعونى أنزل الى القار قليلا قليلا، حتى ترى أية قوة أحتمال أعطانيها المسيح الذى لست تعرفه". .. الى هذه الدرجة من التحفظ والحياء ومحبة الطهارة، كانت هذه العذراء التى أبت أن تخلع ملابسها وينكشف جسدها.... أما الجندى باسيليدس الذى حامى عنها فكانت مكافأته أنها وعدته أنها ستذكره أمام المسيح حالما تصل اليه. وقد ظهرت له فى رؤيا بعد استشهادها، ووقفت بجانبه ليلا ثلاثة أيام متوالية تقلده أكليلا على رأسه، وتقول له أنها توسلت الى الرب من أجله، وانه بعد قليل سيلحق بها. وهذا ما تم فعلا بعد أيام من استشهاد بوتامينا، إذ اعترف باسيليدس بالمسيح وقطعت رأسه بالسيف.<sup>(3)</sup>

### بربيتوا:

● وفى قصة استشهاد القديسة بربيتوا بقرطاجنة، حدث انها ألقيت لثور هائج أخذ يضربها بقرونه، فسقطت على الأرض نصف ميتة.. لكنها لم تنس وهى فى هذه الحالة أن تغطى جسدها بردائها الذى تمزق!! ويورد المؤرخ شاف Schaff هذه اللوحة فى قصة بربيتوا دليلا على محبة المسيحيين الأوائل للطهارة والعفة وتعلقهم بها.<sup>(4)</sup>

### ثيودورة العذراء العفيفة:

● استشهدت بالاسكندرية فى زمان ديوكليانوس وهى فى سن السابعة عشر، لأنها أثرت حياة العفة والتبتل.... كانت ثيودورة سليمة أسرة نبيلة وعلى جانب كبير من الجمال الجسدى. فأمرها الوالى أن تبخر للأوثان، والا فان عقوبتها ستكون ايداعها أحد بيوت الدعارة... وفى تمسكها بعفتها، رفضت كلامه، وقالت له انها واثقة أن الرب يسوع سيخلصها...

وقد أتاها الخلاص من هذه التجربة على يد الشاب المسيحى ديديموس الذى تنكر فى زى جندى وكان أول من دخل اليها، وكانت لا تعرفه. أما الخطة فكانت استبدال ملابسها. وخرجت ثيودورة متخفية فى زى الجنديّة، دون أن يظن اليها أحد. وبقي ديديموس فى الحجره حتى اكتشف أمره، وسيق للوالى وحكم عليه بالموت للمؤامرة التى ارتكبها. وحدث وهو فى طريقه الى مكان الاعدام أن رأته ثيودورة، وعرفت قصته، فشقت الجموع وأمسكت به وقالت له "انى لا أقبل أن تأخذ مكانى فى الاستشهاد. لقد وافقت فقط أن تحفظ عفتى"... وعرف الامر، ونال كلاهما أكليل الشهادة معا.

(3) كان باسيليدس وبوتامينا من تلاميذ أوريجينوس. وذكر عن بوتامينا أنها كانت أمه (عبدة)، ولأن سيدها عجز عن أن يجعلها ترضخ لشهوته، أتهمها أمام الوالى بأنها مسيحية. ورشاه لكى يزيد من تعذيبها لعلها تنثنى عن عزمها بتعذيبها. وبذلك تعود اليه، والا حكم عليها بالموت. (يوسابيوس ٦ : ٥).

(4) Schaff, Vol. 2, p. 362.

## الموت أهون من الدنس: (٥)

وكان من أثر عنف الاضطهاد- خاصة في زمان ديوكنتيانوس- أن ظهر في تاريخ الكنيسة لأول مرة عذارى مسيحيات آثرن الموت للتخلص من العار الذي كانت السلطات تريد أن تسومهن به.

### سيدة في أنطاكية :

سيدة تقية في انطاكية على جانب كبير من الفضيلة والثراء، كان لها ابنتان في عمر الزهور. احتال عليهما بعض الجنود الوثنيين وكانوا يدبرون ايقاعهما في شرك. فلما عرفت الأم ما انتواه هؤلاء من شر قالت إن تسليم نفوسهن لعبودية الشيطان لهن أشد من كل أنواع الموت وفكرت في وسيلة للنجاة من العار أسرت بها لابنتيها. طلبن من الحراس فرصة قصيرة، وانتحن جانباً في الطريق. ثم ما لبثن أن ألقين بأنفسهن في نهر بجانب الطريق. وهكذا وضعت خاتمة لحياتهن حتى لا يقعن في الدنس<sup>(٦)</sup>.

### سيدة في روما:

وسيدة أخرى مسيحية متزوجة في روما أراد مكسنتيوس امبراطور الغرب الوثني (٣٠٥-٣١٢) - وكان شريراً فاجراً- أن يغتصبها ليشبع شهوته. فلما علمت بالأمر وأن زوجها نفسه على استعداد أن يقتادها لهذا الطاغية!! طلبت أن تعطى فرصة للتزين. فدخلت غرفتها وطعنت نفسها بسيف وماتت في الحال. وهكذا بينت بأعمالها- بقوة أشد جدا من أي كلمات- أن الفضيلة التي يغلب بها المسيحيون هي أقوى ما يمتلكون<sup>(٧)</sup>.

### سيدة وعذراء في غزة:

وفي غزة بفلسطين لم تحتمل امرأة مسيحية تهديدها بالزنى كعقاب لها على مسيحياتها، فهاجمت، مكسيمينوس الطاغية الذي سلم الحكم لقضاة قساة، فكان جزاؤها الجلد أولاً ثم رفعها الى فوق على خشبة، وتمزيق جنبها. هال هذا المنظر عذراء مسيحية، فاندفعت نحو القاضي وصاحت في وجهه "الى متى يطول تعذيبكم القاسى لأختي؟" فأمر بالقبض عليها وطلب منها التضحية للأوثان فرفضت. سحبوها بعنف نحو المذبح فركلته بقدمها بكل شجاعة وقلبته بما عليه من نيران. وللحال زار القاضي

(٥) لاشك أن يتخلص انسان من حياته عمل خاطيء لاتقره المسيحية. لكن هناك اعتبارات خاصة يجب ادخالها في حسابنا، ونحن نقيم هذا العمل. لقد كان الذين أقدموا على هذا التصرف، يحاكمون أصلاً بتهمة مسيحياتهم. وكانت النتيجة النهائية معروفة وهي الموت. لكن الحكام الوثنيين لجأوا إلى عقوبة الدنس لسببين: أولهما لمعرفة أنهم أن الدنس بالنسبة للمسيحيين أشد من الموت ذاته. فربما تحت شبح الفرع من هذا الشر المحقق يتراجع بعض المسيحيين وينكرون. وثانيهما اكتشافهم أن سر قوة المسيحيين هو في احتفاظهم بطهارتهم. لذلك فقد حاولوا تحطيم هذه الناحية ، لعل المسيحيين يضعفون بعد أن ينشط فيهم الجسد للذة، وبالتالي يرتدون عن ايمانهم. وبالنظر لهذه الأفكار والاعتبارات والدافع النبيل الذي دفع قلة من المسيحيين للإقدام على التخلص من الحياة - من أجل احتفاظهم بعفتهم وطهارتهم فضلاً عن مسيحيتهم - فقد اعتبر بعض آباء الكنيسة هذا العمل مشروعاً بل ومجيداً ، واعتبروا من أنهى حياته بهذه الطريقة شهيداً ومن هؤلاء الآباء يوحنا ذهبى الفم، وكبريانوس أسقف قرطاجنة الشهيد، ويوسابيوس المؤرخ الكنسى. كما يوافق عليه القديس اغسطينوس في كتابه مدينة الله بشرط أن يدعو اليه اعلان خاص

(٦) يوسابيوس ٨: ١٢.

(٧) يوسابيوس ٨: ١٤.

كالوحش وعذبها بكل قسوة، وأخيرا أحرقهما معاً. كانت الأولى من غزه والثانية من قيصرية<sup>(٨)</sup>.

### فيرونيا العذراء الشهيدة:

● وفي أثناء الاضطرابات التي عمت مصر سنة ٧٤٩م، بسبب فرار مروان بن محمد آخر خلفاء الأمويين الى الوجه القبلي، أمام أبي العباس، دخل جنود مروان دير للعداري قرب أحميم. وبعد أن نهبوه أرادوا اغتصاب عذراء صغيرة، تدعى فيرونيا، فتنوا بجمالها. وأذ وجدت فيرونيا نفسها بين أيدي هؤلاء الجند، استمهلتهم قليلا، ودخلت قلايتها، وألقت بذاتها بين يدي الله باكية، طالبة الخلاص من الدنس. وسرعان ما خرجت اليهم بحيلة... توسلت اليهم أن يتركوها لعبادتها، مقابل جميلا تسديه اليهم، تعلمته من أسلافها. وكان هذا الجميل، زيتا تقتنيه، اذا دهن به أى جزء من الجسم، لا تعمل فيه السيوف. ولكي تبرهن على صدق كلامها دهنت عنقها بالزيت وطلبت أن يهوى أقواهم بسيفه على عنقها... وما أن فعل ذلك حتى انفصل رأس العذراء العفيفة عن جسدها... أما الجند فأعتراهم خوف شديد، واسرعوا بمغادرة الدير، بعد ان تركوا كل ما كانوا قد نهبوه.

### شهداء من أجل العقيدة

ما كادت الكنيسة تنتهي من اضطهاد ملوك الدولة الوثنيين، عقب ارتقاء الملك قسطنطين عرش الملك، حتى بدأت تواجه متاعب داخلية خطيرة نتيجة ظهور البدع والهرطقات الدينية، انتهت بانقسام كنيسة المسيح الواحدة، وشوهت صورة وحدانية الروح والفكر والقلب، وجعلت الضعف يسرى في أجزائها المختلفة...

ونحن لا ننكر أن هذه المتاعب الداخلية واجهت الكنيسة منذ العصر الرسولي حتى أن بولس الرسول يكتب لكنيسة كورنثوس قائلاً "أسمع أن بينكم انشقاقات وأصدق بعض التصديق. لان لا بد أن يكون بينكم بدع أيضا ليكون المزكون ظاهرين بينكم" (١كو ١١ : ١٨، ١٩). لكنها لم تكن من الخطورة حتى تقلق الكنيسة. وقد تمكنت الكنيسة من القضاء على معظمها من غير كبير عناء.

لكن الأمر أخذ وضعاً أخطر وأعنف ابتداء من عشرينات القرن الرابع المسيحي. وزاد من هذه الخطورة اعتناق ملوك الدولة المسيحيين لبعض هذه البدع والهرطقات. فأخذوا ينكرون بخصوصهم في الرأي والمعتقد بالوسائل العالمية من نفى وتشريد وقتل... وصار شهداء العقيدة يعدون بالآلاف. وينبغي الا يقلل من أهمية هذا الموضوع. فقد غدا الخلاف المذهبي من أجل العقيدة- عقب مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١- احد الاسباب الهامة، ان لم يكن اهمها في تقويض عرش الأباطرة البيزنطيين. وانتهيار هذه

(٨) يوسابيوس: شهداء فلسطين ٨ .



الامبراطورية أمام زحف الجيوش العربية القليلة العدد والعدة، فى منطقة الشرق الاوسط... والآن نقدم بعض أمثلة لشهداء استشهدوا دفاعاً عن العقيدة القويمة:

### الآريوسية:

فى الاسكندرية، على عهد الأسقف الاريوسى جورجىوس، قبض الاريوسيون على سيكوندوس كاهن برقه فى الخمس مدن الغربية الذى تصادف وجوده حينئذ فى الاسكندرية أمسكه الاريوسيون وطرحوه أرضاً وأوسعوه ضرباً وركلاً بالاقدام حتى فاضت روحه. وفيما كان يتعذب بقسوة لم يكف هذا الأب عن أن يردد القول "لا ينتقم أحد لدمى المسفوك بل سيدى الذى أتألم لأجله هو الذى ينتقم لى" وقد ارتكب الاريوسيون جريمتهم البشعة هذه فى الصوم الكبير.

وفى عيد العنصرة تواطأ جورجىوس المذكور مع الدوق سبستيان Sebastian الهرطوقى، وأحدث مذبحه فى الاسكندرية.

كانت جميع كنائس الاسكندرية فى يد الاريوسيين. ولما لم يجد الارثوذكسيون كنيسة يحتفلون فيها بعيد العنصرة، ذهبوا الى مقابرهم ليحتفلوا هناك بالعيد... وكانت لمقاطعة الشعب لهذا الاسقف الاريوسى الدخيل، أثرها فى تحريك كوامن غيظه، فاستنجد بالدوق سبستيان الهرطوقى. فأمر الجند وأرسلهم مدججى السلاح، وساروا فى الطرق المؤدية الى تلك المقابر، وضبطوا منافذها حتى لا يستطيع أحد الهرب...

اعتدى الجند على من صادفهم فى الطريق بوحشية، ثم اضرمت نار هائلة، وكانوا يجذبون السيدات ويجبروهن على اعلان الايمان الاريوسى تحت تهديد الالقاء فى النيران... وقد وقفت السيدات وقفات بطولية، فلم ترهبن الموقف، واعترفن بقوة وعلى الملاً بايمانهن الارثوذكسى، وبناء على أوامر الدوق سبستيان أخذ الجنود يصفعون السيدات الارثوذكسيات على وجوههن حتى تورمت، وأصبح من المستحيل التعرف على شخصياتهن.

أما بالنسبة للرجال، فقد جردهم الجند من ثيابهم كلية، وكانوا يضربونهم بكل قسوة ووحشية بجريد النخيل ذى الاشواك الحادة جداً، ويدحرجونهم عليها، فانغرس الشوك فى لحمهم، وأحدث آلاماً قاسية، حتى أن كثيرين ماتوا، والبعض الآخر ظلوا تحت العلاج لمدة طويلة، كما نفى آخرون الى الواحات فى الصحارى...<sup>(9)</sup>

● والقديس بولس أسقف القسطنطينية (+351) الذى ناصب الأريوسيين العداء نفاه الملك الاريوسى قسطنطيوس خمس مرات، وأخيراً أوعز الى أحد الاريوسيين فقتله فى منفاه ببلاد أرمينيا. ثم ما لبث أن لحق به تلميذاه مركيانوس ومرقوريوس بعد أيام قليلة، إذ أمر الملك بقتلهاما بحد السيف لعدائهما للأريوسيين وعلى رأسهم الملك

(9) Les saints d'Egypte T: tome 2, pp. 96, 97( après S. Athanase Apologie de Fuga 6) .

نفسه. (١٠)

● القديس ثينودورس الذى كان راهبا بدير قريب من الاسكندرية، أخذته الغيرة أثناء نفى البابا أناسيوس بسبب الاريوسيين. فكان يناقشهم محاولا كسبهم باظهار فساد معتقدتهم. فأمر البطريك الاريوسى بالقبض عليه وربطه فى رجل حصان جموح، أخذ يسحله فى الشوارع، حتى فاضت روحه. (١١)

### الخليدونية:

● القديس مقاريوس الأسقف- أحد الثلاثة مقارات القديسين- والذى نفى مع البابا ديسقوروس بعد مجمع خليدونية، أظهر حرارة فى الايمان وثباتا على المعتقد الارثوذكسى، فأنفذه البابا ديسقوروس من منفاه سرا الى الاسكندرية لتثبيت المؤمنين. وبوصوله اليها وجد رسول الملك ماركيان ومعه طومس لاون، يحاول أن يقنع الآباء بقبوله والتوقيع عليه. ولما طلب رسول الملك الى القديس مقاريوس التوقيع رفض، وأخذ يحض الباقيين على التمسك بايمان الآباء. اغتاز منه رسول الملك وهجم عليه وركله بقدمه بقوة، فسقط ميتاً لوقته نظراً لشيخوخته.

● وكنتيجة لمجمع خليدونية وعزل البابا ديسقوروس ونفيه وتعيين الملك للمدعو بروتيريوس Proterius بطريكاً بدله، حدث هياج شديد فى الاسكندرية، وقتل بروتيريوس. وقيل أن اللصوص الذين انقضوا عليه ليسلبوه أمواله (بعد أن سلب اموال كنائس وأديرة الارثوذكسيين)، هم الذين قتلوه. فغضب الملك ماركيان وأرسل عددا من الجند، أعملوا القتل فى الاقباط الارثوذكسيين، فقتلوا منهم حوالى ثلاثين الفا (١٢).

● وفى مدة حكم الملك ليو الذى خلف بلشاريما نفى البابا الاسكندري تيموثاوس ٢٦ خليفة البابا ديسقوروس، وبقي فى المنفى لمدة سبع سنوات حتى خلف ليو ملكا آخر، أعاد البابا من منفاه. وفى مدة غياب البابا تيموثاوس عن كرسيه، اجتاحت البلاد ثورات دامية اشتدت فى الاسكندرية وشدت الملكيون [أصحاب بدعة الطبيعتين] اضطهادهم للارثوذكسيين بقصد اخضاعهم، فسقط شهداء كثيرون دفاعا عن المعتقد القويم.

● كما استشهد بالاسكندرية على أيدي أصحاب بدعة الطبيعتين، مينا شقيق البابا بنيامين البطريك ٣٨، وبعد أن احتمل عذابات كثيرة، منها تسليط مشاعل على جنبه حتى سال شحم كليتيه، وكسروا أسنانه من كثرة الضرب... لكنه فى كل ذلك رفض الخضوع لمطلبهم، وهو الاعتراف بمجمع خليدونية، وأخيرا طرحوه فى البحر.

● كما أنزل الملك هرقل (٦١٠ - ٦٤١)- اضطهادات بالغة العنف بأصحاب الطبيعة الواحدة (الارثوذكسيين) وطاردهم رعاتهم، وكان يفتك بهم. فاستشهد فى حكمه كثيرون.

(١٠) سنكسار يومى ٥، ٢٨ بابة.

(١١) سنكسار ٦ بؤونه.

(١٢) سنكسار ٢٣ مسرى .

## أنواع العذابات التي احتملها الشهداء والمعترفون

"لاحق لك في أن توجد"...

هذه هي العبارة التي كان يوجهها الوثني للمسيحي، ابان الاضطهادات التي كانت تجتاح أقاليم الدولة الرومانية، كلما ثارت ثائرتها، لأى سبب من الاسباب... وهي تعبر تعبيراً أميناً عن مشاعر البغضة والمقت والعداوة التي كانت تعتمل في نفوس الوثنيين من نحو المسيحيين، والتي أفضت الى صنوف من العذاب والاهوال قاساها المسيحيون في احتمال مذهل.. ولا شئ غير الموت كان يضع حداً لآلامهم..

ولا يحسن أحد أن الاستشهاد كان في متناول من يريده ويشتهيهِ. فقد كان الموت يوافي المعترف في ختام المطاف، بعد سلسلة طويلة من الوان الاضطهاد الادبي والتعذيب الجسدي.

والواقع أننا لا نستطيع أن نصف، أو نحصى أنواع ووسائل العذابات التي تعرض لها الشهداء والمعترفون المسيحيون، والميتات التي ختموا بها حياتهم البطولية على مدى ثلاث قرون من الزمان تقريبا، فمجرد ذكرها يسبب رعباً للإنسان.... ومن شدة هولها يكاد الانسان ألا يصدقها، لولا أنها وصلت إلينا عن طريق اناس موثوق بهم رأواها بأعينهم. وبعض هؤلاء، شهداء مروا ببعض هذه العذابات، أو معترفين شربوا كأسها. لقد استخدم الأباطرة والولاة والحكام والقضاة الوثنيون كل وسائل الاغراء والتهديد والتعذيب والاماته لارهاب المسيحيين، وتحطيم روحهم المعنوية. وتفننوا كيف يخضعونهم، فاستحدثوا وسائلاً للتعذيب، ولجأوا الى طرق لم تكن متبعة للتكيل بهم، تتنافى مع الآداب العامة المعروفة بين البشر، فضلا عن قوانين الدولة نفسها التي بموجبها كان يحاكم المجرمون المتهمون بشتى الجرائم.

أما قانون عقوبات الدولة فكان ينص على الآتي<sup>(1)</sup>:

(١) حرق الانسان حيا، وهو أكثر الميتات رعباً. وكان يعاقب بهذه العقوبة الهاربون من الخدمة العسكرية، أو العبيد الذين قتلوا سادتهم.

(٢) الصلب. وكان يعاقب به قطاع الطرق.

(٣) الالقاء للوحوش. وكان من يحكم عليهم بهذه العقوبة يفقدون امتيازهم وحریتهم مع صدور هذا الحكم عليهم. ويجب التحفظ عليهم للتعذيب، حتى يدلوا بأقوال أكثر قبل تنفيذ الحكم. لكن كان محظورا على الحكام أن يلقوا المجرمين للوحوش إستجابة لصخب شعبي. ولم يكن مفروضاً أن يلقي المجرمين للوحوش لتفترسهم، ولكن لكي يصارعونهم. وقد يموت المجرمون أثناء تعذيبهم، لكن لا يكون التعذيب وسيلة

(1) Dictionary of Christian Antiquities, Vol. 2, p. 1126.

امانتهم.

(٤) قطع الرأس بالسيف، وكانت هذه العقوبة تطبق على من يحكم عليهم بالموت من المواطنين الرومان.

(٥) الاستعباد فى المناجم ليعمل بها المحكوم عليهم، بعد وضع السلاسل فى أيديهم وأرجلهم متفاوتة الثقل.

(٦) النفى الى جزيرة نائية موحشة وهذه العقوبة تشمل ضمنا فقدان حقوق المواطنة لكن ليس فقدان الحرية.

(٧) أساليب الجلد المختلفة. وكان الضرب بالعصى يعتبر أكرم من الجلد بالسياط.

● وبأستعراض هذه التهم والعقوبات نجد أن الدولة لم تطبقها على المسيحيين، بل استحدثت لهم ألوانا من التعذيب بقصد أخضاعهم بأية وسيلة وكان المسيحية هى كبرى الجرائم!!

ونستطيع أن نضع العذابات التى احتملها المسيحيون تحت نوعين: أدبى، وجسدى، ثم نضيف اليهما تجاوزا نوعا ثالثا هو الضغط العاطفى. ونود أن نشير الى أن بعض هذه العذابات كان عاما فى كل انحاء الدولة وبعضها كان اقليميا، كما أنها لم توجد بهذه الصورة، منذ بداية الاضطهادات لكنها كانت تزداد شدة بتقدم الزمان...  
الاضطهاد الأدبى:

ونقصد به كل ما حل بالمسيحيين من أهانات وتحقير وتضييق منصبا على النفس بعيدا عن الجسد. وإذا كان المسيحي فى عرف الرومان- لا حق له فى أن يوجد - فنستطيع إذن أن نتصور مقدار المهانة والاحتقار والاذلال التى كان يعامل بها...

ويدخل تحت هذا القسم الفصل من الوظائف، ومصادرة الأموال والممتلكات، وفقد حقوق المواطنة، وسلب البيوت والأمتعة، وفقد حق التقاضى أمام المحاكم مالم يكن يحمل صاحب الدعوى شهادة رسمية تثبت أنه ضحى لآلهة الدولة.<sup>(٢)</sup>

ويروى لنا القديس باسيليوس الكبير قصة جوليتا Julitta وهى توضح كيف أصبح المسيحيون لا يتمتعون بحماية القانون. كانت جوليتا أرملة ثرية من قيصرية كبادوكية. وكان هناك مواطن لا أخلاق له استولى على الجزء الأكبر من ممتلكاتها، واعتزم ابتلاع ما تبقى. لجأت جوليتا الى القضاء لينصفها منه. وحل يوم نظر القضية. وبدأ محاميها يشرح الاضرار التى أصابت موكلته على يد المدعى عليه. وفجأة قاطع المدعى عليه اجراءات المحاكمة قائلا أن القضية ليست ذات موضوع، وأن أولئك الذين

(٢) أوردنا صورة هذه الشهادة فى كلامنا عن اضطهاد ديسيوس .

لا يعبدون الآلهة، ولا يتعهدون بقطع كل علاقة لهم بالمسيح، ليس لهم الحق في أن يطلبوا انصاف القانون. وأقر القاضي وجهة النظر هذه. وجئ بالنار والبخور، وسئلت جوليتا ما إذا كانت تريد أن تثبت أحقيتها في حماية القانون بتقديم البخور للآلهة. غير أنها رفضت أن تكسب مآربها الدنيوية وتخسر نفسها. وكان ردها على كل ما أشار به الوالى- وكان يميل الى مساعدتها- "انها خادمة المسيح" وكانت النتيجة أن حكم عليها بالحرق فسارت الى عامود الاحراق مسرعة تشجع كل امرأة تلقاها فى طريقها، بالأ تكون أقل شجاعة من الرجال. وان حواء لم تؤخذ من لحم آدم فقط بل ومن عظامه أيضا.<sup>(3)</sup>

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل ان المسيحيين- فترة من الفترات- حرموا من استعمال الحمامات العامة، ما لم يضحوا للآلهة...

اضف الى ذلك ما تعرضت له العذارى والنساء المسيحيات عامة من معاملة شاذة عوملن بها، والضغط من جانب الولاة والحكام عليهن ليتخلين عن طهارتهن.. بل أن الاحكام صدرت ضدهن بارتكاب الفجور قبل تنفيذ أحكام الموت.

نذكر الآن على سبيل المثال الفتاة العذراء أناثاس التى جردها الوالى من كل ملابسها، ما عدا سترة تسترها من الحقوين الى القدمين. وقادها معذبوها عارية بهذه الصورة فى كل مدينة قيصرية، قبل أن تحرق حية فى النهاية... وفى محاكمة الشهيدة ثيودورة فى الاسكندرية، ذكرها القاضى بالأمر الذى يقضى باكراه السيدات والفتيات المسيحيات، ممن يعتنقن أفكارا كأفكارها، بأن يخضعوا بالانتهاك البدنى.

#### التعذيب البدنى:

ونستطيع أن نجمل وسائل التعذيب البدنى التى استخدمت مع المعترفين والشهداء فى الآتى:

● الحبس فى السجون وما يتبعه من سياسة التجويع والمعاملة السيئة. وكانت سجون تلك الازمنة تختلف تماما عن السجون المعروفة لنا الآن. كانت ضيقة مظلمة، جوها خانق كرية الرائحة، ترتفع بها الحرارة نتيجة تجمع أعداد ضخمة فى أماكن ضيقة<sup>(4)</sup>.

وقد تركت لنا بربيتوا شهيدة قرطاجنة الشهيرة بخط يدها وصفا للسجن الذى كانت فيه.. وحدث أن كثيرا من المعترفين ماتوا لمجرد وجودهم فى السجن ورائحته الخانقة. وقد جاء فى وصف سجن بقرطاجنة ضمن رسالة لبعض المعتقلين زمان جالوريوس "انه لمما يعجز عنه التعبير، ما قضيناه هناك من أيام وليال. فأهوال السجن مما تقصر

(3) Mason: Historic Martyrs of the Primitive Church .

(4) Cyp. Ep., 22: 2.

دونه الالفاظ" (٥).

كان المسجونون توثق أيديهم خلفهم، وتضبط أرجلهم في المقطرة. وهي عبارة عن خشبتين فيهما ثقبان يقيمت بهما على ساقى المذنب. ولذلك فإن السجين كان يتعذر عليه النوم وهو في هذه الحالة، وساقيه مشدودتين بالمقطرة ومتباعدتين عن بعضهما، كل في اتجاه، وذراعيه موثقين خلفه!! وقد عذب القديس بولس بالمقطرة في سجن فيلبى، ومعه سيلا (أنظر أع ١٦ : ٢٤).

أضف الى هذا أن الحبس في هذه السجون المتعبة، كان يطول في بعض الأحيان الى شهور وسنوات... وقد ظل أحدهم ست سنوات مسجوناً!! حتى أن كبريانوس أسقف قرطاجنة كتب الى بعض المعترفين في السجن لتشجيعهم، فقال "إن تأخر استشهادهم في ذاته يزيد من ثقل مجدهم. وإن اعترافا واحدا كاف لأن يجعل منكم قديسين. ولكنكم تكرر الاعتراف في كل مرة تدعون لمغادرة السجن، وتفضلون السجن على ضياع الايمان. فكل يوم يزيدكم سموا. ان من يلقي الاستشهاد فوراً، انما ينال نصراً واحداً. وأما من يظل يقاسى العذاب طويلاً دون أن يغلبه الألم، فانه ينال كل يوم اكليلاً"...

● كانت توضع المسامير في أعضائهم ويلزمون بالسير مسافات طويلة من بلد لآخرى حينما يرسلون الى وال آخر ليحاكموا أمامه.

● الجلد بالسياط والضرب بالعصى والامشاط المدببة. وقد أمر الحكام في فيلبى أن يضرب بولس وسيلا بالعصى (أع ١٦ : ٢٢). وقال بولس عن نفسه "ثلاث مرات ضربت بالعصى" (٢ كو ١١ : ٢٥). وبعد الجلد كان يصب مزيج الخل والملح على جراح المعذبين...

● كان يرفع المعترفون الى أعلا، ويعلقون من احدى أيديهم أو أرجلهم فيقاسون الأهوال المروعة، وذلك نتيجة جذب أطرافهم ومفاصلهم. كما كان يوثق البعض الى الأعمدة دون أن يستقروا على أقدامهم. بل كان ثقل كل أجسادهم يعلق على القيود التي ربطوا بها، والتي كانوا يحكمون ربطها جيداً.

● وكانوا يعذبون تعذيبات مخجلة وقاسية، على بطونهم وأعضائهم السرية. واكتفى يوسابيوس المؤرخ بمجرد التنويه عنهما...!! كما كانوا يوثقون النساء من إحدى القدمين، ويرفعوهن الى أعلا، بآلات خاصة، وأجسامهن عارية... وكان يعرض هذا المنظر المخجل لجميع المتفرجين!.

● نزع الأظافر أو ثقب أصابع المعترفين بأخشاب حادة تحت أظافرهن، أو سحقها حتى تبرز العظام من خلال اللحم المهراً.

● السحل على الأرض في الشوارع، اما بواسطة الدهماء، كما فعلوا مع مار

(5) Mason: Historic Martyrs of the Primitive Church.

مرقس كاروز مصر، واما بناء على حكم القاضى بربط المعترف بذيل حصان جموح، يجمع فى الشوارع. وأحيانا كان الحكم يقضى بسحل المعترف على وجهه!!.

● القاء المعترفين فى بحيرات جليدية متجمدة الماء، كما حدث مع شهداء سبسطية الأربعين بولاية أرمينيا.

● السلخ، أو كشط الجلد واللحم حتى يصلوا الى العظم والاحشاء. وكانوا فى صعيد مصر يتممون هذا الأمر بحك الجلد بقطع المحار المدببة أو الفخار.

● مرور عجلات مسننة فوق جسم المعترف وهو نائم على الارض، أو مرور آلة تعذيب اخرى تدعى المكشطة تمزق الجسد ارباً ارباً.

● نشر الجسم والعصر بالهنازين. وهو دولا ب يتحرك نصفه الاعلى فى اتجاه ونصفه الاسفل فى اتجاه عكسى، وبين نصفى الدولا ب عدد من سكاكين حادة. وكان الشهيد يوضع بين نصفى الدولا ب الذى يدار، فكان جسد الشهيد يتمزق اربا اربا ويسيل دمه ويتناثر لحمه.

● صب رصاص أو قار مغلى فوق أجساد المعترفين أو حرق أكثر أعضاء الجسم حساسية، أو النزول فى خلقين (برميل) زيت مغلى، أو قار مغلى كما حدث مع القديس يوحنا الحبيب الانجلى والقديسة بوطامينا.

● الحرق، وكان يتدرج من الشى أولاً، الى الحرق الكامل. كانوا يشوون الشهيد بالنار كاللحم الذى يشوى للأكل قليلاً قليلاً، بقصد اطالة التعذيب وأحيانا كانوا يرفعون المعترفين من أقدامهم الى اعلا منكسة رؤوسهم الى أسفل فوق حطب يحترق بنار هادئة تحتهم ليختنقوا بالدخان المتصاعد. وكانوا أحيانا أخرى يحمون صفائح رقيقة حتى تتوهج ويضعوها على أجزاء الجسم الحساسة. وأحيانا كانوا يدحرجون المعترف فوق مسامير حديدية متوهجة. كما كانوا يضعون أسياخ حديد محمية فى الحنجرة أو الأذنين. وفى أحيان أخرى كانوا يجلسون الشهيد على كرسى من حديد، أو يجعلونه ينام على سرير حديدى ويوقدون تحته النيران. وأحيانا كانوا يلبسونه خوذة محمية بالنار فى رأسه. وأحيانا أخرى كانوا يغطون بعض أعضاء الجسم بأقمشة كتانية مبللة بالزيت ويشعلون فيها النار، فيذوب شحم الجسد ويتساقط كالشمع!!.

● كانوا يربطون اليدين والرجلين بغصنين كبيرين بشجرتين متقاربتين، ويضم الغصنان الى بعضهما بألة خاصة. ثم يترك الغصنان ليعودوا الى وضعهما الطبيعى، فينشطر جسم الشهيد الى اثنين. واتبعت هذه الطريقة كثيراً فى صعيد مصر.

● تشويه الجسد، ببتير أعضاء معينة من الجسم أو اتلافها، كقطع أحد اليدين، الرجلين أو الانف أو الأذنين، وفقاً أحد العينين، ثم كى تجويفها بحديد محمى بالنار، أو كى أعصاب المفاصل حتى تشل الأعضاء!! وهؤلاء بعد تعذيبهم بهذه الكيفية، كانوا

يرسلون للعمل فى المحاجر، أو المناجم.

- الشنق، وقطع الرأس بالسيف، أو بالفأس وكانت هذه هى أسهل الميتات.
- الالقاء فى اليم (نهر أو بحر)، بعد ربط الجسد بثقل ليجذبه الى القاع.
- الصلب اما فى وضع معتدل أو منكس. وأحيانا كانوا يرحمون المصلوب بالحجارة أو يرشقونه بالسهم وهو على الصليب.
- دفن الانسان حياً.
- الالقاء للوحوش المفترسة، وكان المعذبون ينخسون تلك الوحوش فى بعض الاحيان بالنيران والحديد المحمى، حتى يزداد هياجها وأفتراسها.

● ولم تقف وحشية الوثنيين المعذبين من الاباطرة والحكام عند هذا الحد، بل انهم مثلوا بجثث الضحايا المسيحيين حتى بعد موتهم.. فكانوا لا يسمحون بدفنها، بل يتركونها فى العراء خارج المدن تنهشها الطيور الجارحة والحيوانات الضارية. بل وصل بهم الامر الى أنهم كانوا يخرجون الشهداء المدفونين من بطون القبور، ويلقونها فى البحر حتى لا يكرمها المسيحيون!!..

### الضغط العاطفى:

ونقصد به ما تعرض له المعترفون والشهداء من ضغط عاطفى من أقرب الناس، الذين يرتبطون بهم بروابط حب طبيعى قوى، نتيجة اظهار مشاعرهم وعواطفهم واقربانها بتوسلات ودموع... هذه مما لا شك كانت تضغط على المعترفين ضغطا قاسيا، حتى اعتبرت انها "اكثر ما فى كأس الاستشهاد من مرارة" ويقول المؤرخ المدقق دى برسنسيه De Pressensé:

"لقد أثبتت محبة الأهل فى أكثر من حالة أنها أخطر التجارب التى تعرض للمقبوض عليهم ولقد كان على بربيتوا Perpetua (برباتو)، وهى امرأة ضعيفة (٢٢ سنة وكانت متزوجة حديثاً)، أن تقاوم فى آن واحد، توسلات ودموع والدها المسن ذى الشعر الاشيب، وصراخ طفلها الرضيع، وكذلك الحكام الذى اعتبروا السعى لاسترداد المسيحيين مجدداً، فشجعوا أمثال هذه اللقاءات المؤلمة.

كان الحكام يحرمون وبشدة الاتصال بالاقرباء أو الاصدقاء. لكن اذا احسوا أن تجديد هذه الصلة الحبية يمكن أن يؤدى الى ميل المسيحي للانكار، فانهم كانوا يسمحون بها، بل ويشجعونها.. فكانوا يعطون حرية زائدة للاب أو الزوج الوثنى، الذى يأتى ليستعطف المسجون بالوسائل العاطفية.. فمثلا حفظت بربيتوا بعيدا عن زوجها، لانه كان يشاركها نفس ايمانها، بينما سمح لوالدها- وحسبما يريد- أن يلتقى بها ويستعطفها، حتى يزعرع ثباتها.



كان مسيحيو تلك الايام مطالبين بأن يعطوا تفسيراً حياً بليغاً لكلمات السيد: ان أتى أحد الى ولا يبغض أباه وأمه وزوجته وأولاده واخوته واخواته حتى نفسه أيضاً، لا يقدر أن يكون لي تلميذاً: نستطيع أن نرى من خلال شدة كربهم أن الكراهية في مفهوم هذه الوصية يأتلف مع عمق المحبة<sup>(٦)</sup>.

لقد كان تحمل الآلام أسهل من أصوات الاحباء وهي تستعطف متألمة لكن مثل هذه التجربة كانت جزء من جهاد المعترف المقبوض عليه. ويقول أوريجينوس الذي عاش وسط الاضطهاد "يصل عذاب الاستشهاد الى أوجه حينما يقترن عنف حراس السجن، بتوسلات الوالدين الرقيقة، لتهز ثبات المسجونين... وطوال المحاكمة، اذا لم نجعل للشيطان موضعاً في قلوبنا- ذلك الذي يسعى لتدنيسنا، بأفكار شريرة من التردد- واذا احتملنا كل تعبير واهانات أعدائنا، وكل سخريتهم وافتراءاتهم، وعطف التحقير من جيراننا، الذين يصفوننا بالغباء والجنون، وفوق كل ذلك محبة الزوجة والاولاد، أو الارتباط بأعز كنز لنا على الارض- اذا فشلت هذه جميعها ان تجذبنا ثانية الى الحياة ومباهجها، واذا كنا مانزال نابذين كل الخير الارضي، فاننا بذلك نعطي أنفسنا بالتمام لله وللحياة التي منه تأتي.. وهنا نكون قد أكملنا قياس الاستشهاد"<sup>(٧)</sup>.

### نفسية المسجونين على ذمة الاستشهاد

كان غرض الملوك والحكام الوثنيين من سجن المعترفين المسيحيين، هو تحطيم شجاعتهم واضعاف روحهم المعنوية. لكنه كان دائماً وبصفة عامة- اداة تحريكها وتقويتها.

انه أمر خارج عن حدود المنطق، وفائق لطبيعة البشر المألوفة، أن الاحزان تنشئ أفراساً، والضيق تولد تعزيات! لكنها المسيحية، بما فيها من تأثيرات باطنية للنعمة الالهية، بفعل الروح القدس في المؤمنين، تعبر عنها كلمات الرسول بولس "كمانتين وها نحن نحيا.. كحزاني ونحن دائماً فرحون (٢كو٦: ٩، ١٠)! فشهد المسيحية الاول استفانوس وهو واقف أمام خصومه، رؤى وجهه كأنه وجه ملاك (أع٦: ١٥)... وبعض شهداء قرطاجنة، بعد أن وصفوا أهوال السجن، قالوا "أنا لم نخش ظلام المكان فلقد أضاء السجن الموحش ضياء روحاني. ولقد كان الايمان والمحبة، كالنهار يفيضان علينا ضوءاً أبيضاً"<sup>(١)</sup>.

أما أسباب ذلك فكانت:

### (١) المعونة الالهية التي وعد الله بها جميع المضطهدين من أجل اسمه.

(6) De pressensé: The Early years of Christianity, Vol. 2, ch. 2 .

(7) Origen: Ad Martyrum p. 82.

(1) Mason: The Historic Martyrs of the Primitive Church.

"يلقون أيديهم عليكم ويطردونكم ويسلمونكم الى مجامع وسجون، وتساقون أمام ملوك وولاة لاجل اسمي. فيؤول ذلك لكم شهادة. فضعوا في قلوبكم أن لا تهتموا من قبل لكي تحتجوا. لاني أنا أعطيتكم فما وحكمة، لا يقدر جميع معانديكم أن يقاوموها أو يناقضوها. وسوف تسلمون من الوالدين والاخوة والاقرباء والاصدقاء. ويقتلون منكم- وتكونون مبغضين من الجميع من أجل اسمي. ولكن شعرة من رؤوسكم لا تهلك. بصبركم اقتنوا أنفسكم" (لو ٢١: ١٢-١٩).

### (٢) تعاطف الكنيسة كلها معهم...

فهم لم يكونوا وحدهم، بل أن الكنيسة كلها- بكل أعضائها، كانت معهم: تصلى لاجلهم صلوات حارة، كما حدث لما كان بطرس مسجوناً، ففتح ملاك الرب أبواب السجن وأخرجه منه (أع ١٢) ... كما كانت الكنيسة تهتم باحتياجات هؤلاء المعترفين والشهداء المادية، واحتياجات أسرهم.

### (٣) احساس هؤلاء المعترفين بشرف تألمهم، من أجل انبل الاسباب..

فقد أدركوا يقينا أن ما يحتملونه من ضيقات وآلام وأحزان انما هي شركة الآلام المخلص، التي أشار اليها الرسول بقوله "لاعرفه وقوة قيامته، وشركة الآلام، متشبهاً بموته" (في ٣: ١٠) ... وأنها تكميل نقائص شذائد المسيح في أجسادهم (كو ١: ٢٤).

### (٤) التطلع الى المجد العظيم الذي ينتظرهم.

والفرح الموعود به، حينما يمسح الله كل دمعة من عيونهم (رو ٢١: ٤).

### (٥) الرؤى المجيدة<sup>(٣)</sup> التي كانت تعلن لهم، والتي كان لها أعظم الاثر في

تشجيعهم.

فبينما كان اليهود يرمون استفانوس، كان هو يشخص الى السماء، وظل نظره مثبتاً فيها- لان قلبه وفكره كانا هناك أيضاً- فأبصر السموات قد انفتحت، ورأى مجد الله ويسوع قائماً عن يمين الله (أع ٧، ٥٥: ٥٦).

● ومما لا شك فيه أن الرؤى السماوية والاحلام التي كانت تعلن للمعترفين كانت تشددهم وتنسيهم الآلام، التي تفوق الوصف، وتعجز طاقة البشر عن احتمالها. وسير الشهداء حافلة بكثير من قصص الاحلام والرؤى. فكثيراً ما كان الشهداء يرون السيد المسيح وملائكته والقديسين يفتقدونهم، ويشجعونهم، ويقوونهم. وكمثل نروى الرؤى التي رأتها بربيتوا شهيدة قرطاجنة الشهيرة.

● رأت الشهيدة بربيتوا في حلم، سلماً كبيراً ذهبياً يصل الارض بالسماء. كان

(3) De Pressensé, Vol, 2, pp. 83, 84.

ضيقة بحيث لا يتسع الا لشخص واحد. وعلى جانبيه آلات التعذيب، ومن أسفل تنين مرعب، عند الدرجات الاولى لهذا السلم، يتحفز لاقتناص من يحاول الصعود للسماء. وفي الحلم رفعت بربيتوا رأسها، فرأت معلمها ساتوروس **Saturus** وهو يصعد. وحينما وصل الى نهاية السلم من أعلى قال لها "برباتيوا... انى فى انتظارك. ولكن احذرى لئلا يلتهمك التنين". حينئذ قالت برباتيوا "باسم يسوع المسيح سأصعد، ولن أخاف التنين". وبجراحة وضعت رجلها على التنين وكأنه الدرجة الاولى من درجات السلم، ثم ابتدأت تصعد بسرعة.. وأخيرا وصلت. وهناك رأت حديقة فسيحة يقف فى وسطها رجل ممشوق القامة، فى رداء أبيض ناصع، وحوله وقف ألوف يرتدون ثيابا بيضاء. هناك وجدت الراعى الصالح فى انتظارها ممتلئا رقة نحو خرافه، ثم رفع ذلك السيد رأسه ونظر اليها وقال لها "مرحبا بطفلى". ثم ناداها وأعطاها كعكة، أخذتها منه وأكلتها، وحينئذ سمعت أصوات الذين وقفوا حولها يرددون كلمة "أمين".. ثم استيقظت برباتيوا، وكانت تشعر بحلاوة تملأ حلقها.

● وفى مساء اليوم السابق لموعد تنفيذ الحكم على برباتيوا، رأت حلما آخر:

رأت بومبونيوس **Pomponius** الشمساس، وقد أتى الى سجنها وأخذ يدق بابه بعنف. فذهبت اليه وفتحت له، فرأته مرتديا ملابس بيضاء، فقال لها "برباتيوا، اننا فى انتظارك فتعالى" وخرجت برباتيوا وراء بومبونيوس حتى وصلت الى مدرج واسع جدا حيث علمت أنه هناك ستتم المعركة الفاصلة ثم رأت رجلا مقبلا من بعيد، ووجهه مخيفا، وكان يصحب معه رجالاً آخرين ليحاربوها. ثم أتى رجل آخر وصاح بصوت جهورى "ان استطاع هذا المصرى أن يغلبها فليقتلها بسيفه، أما ان استطاعت هى أن تقتله فالتقدم لتأخذ سعف النخل" اقترب كل منهما نحو الآخر. وكان المصرى يحاول أن يهجم على قدمى برباتيوا، لكنها ضربته بمهماز كان فى يدها. ثم ارتفعت هى فى الهواء، وأخذت تسدد للرجل الضربات واللكمات. ثم أمسكته من رأسه وأوقعته على وجهه ثم داست عليه بقدميها. وحينئذ توجهت الى رئيس المحفل حيث أخذت منه سعف النخل فقبلها وقال لها: سلام لك يا بنيتى. ثم خرجت من بوابة كبيرة". وبعد أن استيقظت برباتيوا أخذت تتأمل هذا الحلم وأيقنت أن حربها ليست مع وحوش فقط، بل مع الشيطان الذى كان يرمز اليه ذلك المصرى وأيقنت أن سعف النخل رمز الظفر.

● وشهيد آخر أبصر أثناء نومه فى السجن وثنيا مقبلا عليه معلنا أنه ان لم ينكر الايمان فسيهلك لا محالة. فأجابه الشهيد "نحن على استعداد لتحمل كل شئ. وكلما زاد الألم، زاد النصر المجيد" وبعد أن استيقظ من نومه شعر بقوته وقد تجددت بتقوية رجائه العتيد.

● وكثيرا ما كان المسجونون يشاهدون فى أحلامهم رعاة الكنيسة الكبار الذين استشهدوا، يظهرون لهم فى رؤى يشجعونهم، كما كانوا يبصرون اخوتهم الذين سبقوهم فى الشهادة يزورونهم. لقد رأت برباتيوا الشمساس بومبونيوس الذى كان قد

استشهد منذ وقت قصير يقترب من باب زنازنتها فى السجن ويقول لها "تعالى، فنحن فى انتظارك"... ثم قالت برباتيوا وهى تروى حلمها "أخذنى من يدي وبدأنا نصعد معا مسالك منحدره وملتوية".

● وساتوروس معلم برباتيوا وشقيقها، رأى فى حلم، أربعة ملائكة قد حملته، ووضعوا عليه ثوبا أبيض، وأحضره بين أصدقائه الشهداء الذين عرفهم وهو على الأرض... يقول ساتوروس "أبصرنا نورا عظيما وسمعنا صوتا يسبح قائلا قدوس قدوس قدوس... ولما أحضرنا أمام عرش الرب يسوع، جمعنا الى حضنه"... وفى هذا الحلم رأى ساتوروس برباتيوا فقال لها "ها أنت قد نلت أمنيتك". فقالت له "شكرا لله. لقد كنت سعيدة وأنا فى الجسد. ولكنى الآن أسعد حالا".

ونستطيع أن نصور كيف أن أمثال هذه الرؤى. تستطيع أن تقوى شجاعة المسيحيين. وهكذا أصبح الجب المظلم- السجن- فى نظر المعترفين بابا للسماء!

هكذا كان المعترفون فى سجونهم تفيض نفوسهم سلاما، ووجوههم بشرا وفرحا. كانوا يتعجلون موعد محاكمتهم- لا لأنهم يتوقعون الافراج عنهم، بل لانهم كانوا يشتهون تلك الوقفة أمام الحاكم، وكأنهم يقفون مع الرب يسوع أمام بيلاطس الوالى الرومانى.. ينتظرون النطق بالحكم لاعدامهم.. شاعرين أن المسيح حبيبهم والههم فى أنتظارهم، مع محفل من الملائكة والشهداء. لانهم كانوا يعلمون تمام العلم أنهم ليسوا من العالم، بل هم رعية مع القديسين وأهل بيت الله (أف ٢: ١٩).